مراحل ظهور البدع

أسبابها وموقف الأمة منها

تأليف
الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي
الأستاذ بقسم العقيدة بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع

مراحل ظهور البدع

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
العليا - غرب مؤسسة التحلية
ت : ٤٦٥١٦٨٩ - ٤٦٣١٧٢٢
ص.ب : ٦٤٦٠ - الرياض : ١١٤٤٢
تليفاكس : ٤٦٣١٢٣٦
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحَمْدُ للهِ حَمْداً طيباً مباركاً فيه، والصلاةُ والسلامُ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

يقول تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[١].

ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «**يحملُ هذا الدِّين في كلّ قَرْن عُدولٌ يَنْفونَ عنه تأويلَ المُبْطِلِين، وتحريفَ الغَالينَ، وانتحالَ الجاهلينَ، كما يَنْفي الكِير خَبَثَ الحديد**»[٢].

وعلى هَدْي كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يَدَيْه ولا من خلفه، واتّباعاً لسنَّة نبينا الخاتم، نرى أن من أخطر ما يُهَدِّد كياننا كأمّة إسلاميّة سكوتُنا عن مُحْدَثاتِ الأمور من البِدَع والخرافات التي يحاول المغرضون من أعدائنا، والمتأثرون بثقافة التغريب من أبناء الأمّة، إدخالها في ثقافتنا، لإفساد المنهج الصحيح، وَلَيِّ المعاني وتأويل النصوص بما يوافق أهواءهم،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سنن الدارمي، باب الملاحم، رقم (١).

ويُفْسِد علينا معتقداتِنَا، عن طريق تَغْشِيَةِ المفاهيم، وزَرْع الأفكار الغريبة عن ديننا الحنيف.

ومن المعلوم أن من أخطر ما يهدّد مصائر الأمم ويسبّب سقوطَها وتراجُعَها عن أداء دورها، استسلامُها للمعتقدات الزائفة وللمفاهيم الغريبة عن وُجهة نَظَرها في الحياة، فإذا ما تَغَلْغَلَت تلك المفاهيم وتسلَّلَت إلى الأذهان غَيَّرَت في منهجها وأساليب حياتها، ومن ثَمَّ مُهِّدَت الطريق للتغلب على معتقداتها الأصيلة، وغَدَت طريقةً من طرق التفكير لديها في تعاطيها مع شؤون الحياة، سياسةً واقتصاداً وسلوكاً عاماً، الأمر الذي يؤدّي بالأمّة إلى فُقْدانِها شخصيتَها، ومن ثَمَّ إلى تقهقرها وانحدارها، وإلى جعلها تابعةً لسواها بدلاً من أن تكون مالكةً زمامَ أمرها، وهو ما يسلبها وظيفتَها كأُمّةٍ لها دور فاعل في بناء مستقبلها، وترسيخ مكانةٍ متقدمةٍ بين الأمم.

وإنّ ما شهدته أمتُنا الإسلامية، على اختلاف الأعْصُر، من محاولاتٍ لتغريبها عن المنهج الصحيح الذي تركه السَّلَف، على هَدْي الكتاب والسنّة، غنيّ عن الشَّرْح، ولولا نعمةٌ من الله تعالى وفضلٌ لَمَا كان لهذا المنهج أن يَسْلَم من عَبَث العابثين، وإضلال أهل الزَّيْغ والأهواء، فقيَّض الله تعالى للأمة رجالاً فضلاءَ بَيَّنوا وَجْهَ الحق من الضلال، وأعْمَلُوا الفكرَ في كشف مقاصد المُبْتَدِعين، مَا حَفِظ المنهجَ من الدسائسِ، واستَنْقَذَهُ من عَمَهِ الجهالَة.

لكنّ الحاقدين على الإسلام وأهله مازالوا على خبثهم يسوقون البِدَع ويروّجونَ لها، ولا سيما في هٰذا الظّرْف العصيب

الذي تمر به الأمة، حيث تتعرض لأشرس حملة تغريبية، بُغْية تخريب معتقداتها وحَرْفِها عن منهجها الصحيح.

ولكنّ غَيْرَةَ المخلصين من أبناء هذه الأمة من علمائها ومفكريها، بما وهبهم الله العزيز من غَزَارةِ العلم، وفصيحِ البيان، ورسوخِ الإيمان، وهم كُثر والحمد لله في كل زمان ومكان، يتصدّون لتلك البِدَع، كاشفين ضلالاتها، بالحجة البَيِّنَةِ، والحكمة البالغة، والفكر المستنير.

ومن المُلْفِت في هذا الميدان مؤلَّف (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة) للإمام الحافظ أبي القاسم اللالكائي المُتَوَفَّى سنة ٤١٨ هـ، وقد قام بتحقيقه الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامديّ الأستاذ بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كما يُلفت فيه ما بدأ به المحقق في المجلد الأول، حيث تناول مسألة البِدَع وتاريخ ظهورها، وموقف الأمة الإسلامية من المُبْتَدِعَة، ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة في تقرير العقائد والردِّ على البِدَع؛ وذلك من المسائل التي يجب التركيز على بيان بُطْلانها، وكشف ما تُلْحِقُه من ضررٍ إذا ترسخت في أذهان مَنْ لا يعرفون بطلانها وبُعدَها عن العقيدة الصحيحة، ويُظَنُّ أنها من الدين، وهي ليست من الدين في شيء.

فبعد مطالعتنا لمدخل المؤلَّفِ في المجلد الأول وإدراكنا لأهميته، وجدنا من المناسب أن نفرده في إصدار خاص مستقل، بغية التركيز على موضوعه، ولفت النظر إليه، فتقرر نشره في هذا الكتاب تعميماً للفائدة، وجعلنا عنوانه "مراحل ظهور البدع".

يتضمن هذا الكتاب خمسة مباحث:

الأول : الخط التاريخي لظهور البدع.

الثـــاني : أسباب ظهورها.

الثـالـث : موقف الأمة الاسلامية من المبتدعة.

الرابـــع : مرحلة تدوين المذهب السلفي.

الخـامس : منهج أهل السنة في تقرير العقائد الدينية والرد على البدع.

نسأل الله أن يجزي الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي خير الجزاء لما قام به من جهدٍ ملفت في تحقيق المؤلّف المذكور وتقديمه لأبناء الأمة، حرصاً منه على تنويرهم وإفادتهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ولإذنه لنا بإصدار هذا الكتاب.

والله المستعان.

عبدالعزيز ابراهيم الشبانات

مدير عام

دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

المبحث الأول

الخط التاريخي لظهور البدع

لم تظهر هذه البدع التي قاومها السلف دفعة واحدة ولا في زمن واحد وإنما كانت تظهر في أزمنة مختلفة وفي أماكن متباعدة ولهذا فقد بينت في هذا المبحث الفترات التي ظهرت فيها تلك البدع والأشخاص الذين ظهرت على أيديهم إلى أوائل القرن الرابع.

وقد جعلت الفترة التي لم يظهر فيها شيء من تلك البدع فترة أولى لبيان ما كان عليه الجيل الأول من هذه الأمة من الاستقامة وسلامة العقيدة.ثم بينت في بقية الفترات ما اختصت به كل فترة منها من تلك البدع.

الفترة الأولى : (٠٠٠ - ٣٧هـ)

مكث القرآن الكريم ثلاثة وعشرين عاماً يتنزل على رسول الله ﷺ والرسول يبلغه للناس ويبينه حتى كمل الدين وتمت النعمة ثم اختار الله عز وجل رسوله إلى جواره.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يسمعون القرآن ويفهمون معناه ثم يؤمنون به ويعملون بشرائعه.

وقد كان فيما نزل به القرآن الكريم : الإخبار عن الأمور الغيبية كالإخبار عن ذات الله عزوجل وأسمائه وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر وأحداثه وأهواله وعن الجنة والنار وما أعدّ الله فيهما من ثوابه وعقابه... كل ذلك ومما هو في معناه كان القرآن يتنزل به والنبي ﷺ يبلغه ويبينه والصحابة يتلقون ويفهمون ويؤمنون، ولم يعرف عن أحد

منهم أن تردد أو استشكل شيئا من ذلك.

ونحن نعتقد أنهم كانوا يفهمون ما يخاطبون به من ذلك كله وإلا لسألوا عنه واستفسروا عن معناه لتعلقه بالجانب الرئيسي في حياتهم وهو جانب الاعتقاد وقد رأينا كيف حملوا سيوفهم في وجهه عندما لم يقتنعوا به ثم أصبحوا فيما بعد يفدونه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم....ولن يفعلوا ذلك في سبيل دين يجهلون عقيدته ولا يعرفون معناها.

نعم، قد سأل الصحابة النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية ولكنها أمور عملية وليست اعتقادية، يقول ابن عباس رضي الله عنه: (ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ﷺ كلهن في القرآن ... يسألونك عن المحيض ... ويسألونك عن الشهر الحرام ... يسألونك عن اليتامى ... ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم)[1].

وقال صاحب مفتاح السعادة: (إن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا في زمن النبي ﷺ على عقيدة واحدة لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه و أزال عنهم ظلم الشكوك والأوهام.....)[2].

ويقول ابن القيم: (وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مسائل الأحكام ـ وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ـ ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء

---

(١) أعلام الموقعين /١: ٧١/.

(٢) مفتاح السعادة /٢ : ٢٦٢/.

والصفات والأفعال....)[1].

هذا هو الواقع الذي عاشه الصحابة رضي الله عنهم فكان مجتمعهم بصورته تلك سليما من كل انحراف يشوب صفاءه أو يشوّه نقاءه.

وقد كادت بعض الانحرافات أن تظهر رأسها في ذلك المجتمع إلا أنها عولجت في وقتها وقُضِيَ عليها في مهدها فلم تظهر بعد طوال هذه الفترة.

ففي عهد النبي ﷺ تكلم بعض الصحابة في القدر فغضب النبي ﷺ ونهاهم عن ذلك فانتهوا.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : (إن رسول الله ﷺ خرج وهم يتنازعون في القدر : هذا ينزع آية وهذا ينزع آية، فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان فقال : «بهذا أمرتم أو بهذا وكلتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه») .

فيدل هذا الحديث على أنه قد خاض بعض الصحابة في موضوع القدر في عهد النبي ﷺ ولكنه كان نزاعا عارضاً لم يتكرر فيما بعد.

وانتهى كل واحد منهم عن العودة إلى مثل ذلك ولم ينقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم إحياء تلك المنازعات ولا تبنى شيء منها بل الذي روي عنهم أنهم ردوا على القدرية عندما ظهرت فيما بعد وتبرؤوا منهم.

---

(١) أعلام الموقعين / ١ : ٤٩ / وراجع / الخطط للمقريزي / ٤ : ١٨٠/.

وكذلك وقع في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الحوادث المفردة والتي اختفت سريعاً ـ كذلك ـ ولم تظهر بعد.

وهو ما حدث من صبيغ الذي كان يسأل عن متشابه القرآن فضربه عمر حتى تاب.

روى اللالكائي بسنده إلى سليمان بن يسار أن رجلا من بني غنيم يقال له صبيغ بن عسل قدم المدينة وكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعدّ له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس. قال : من أنت؟ أنا عبد الله صبيغ، قال عمر : وأنا عبد الله عمر وأومى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجه وجعل الدم يسيل على وجهه، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي.

وبهذا الإيجاز يتبين لنا نقاء تلك الفترة من البدع والانحرافات في الاعتقاد.

الفترة الثانية (٣٧هـ ـ ١٠٠هـ) :

في هذه الفترة التي تبدأ من منتصف خلافة علي رضي الله عنه برزت رؤوس البدع وذلك على أثر الخلافات السياسية التي تعرض لها الصحابة رضي الله عنهم باجتهاد منهم.

فظهرت في عصره الخوارج والشيعة وهما فرقتان متقابلتان : إحداهما تكفره وتتبرأ منه والأخرى تنصره وتؤيده.

ثم ظهرت بعد ذلك القدرية والمرجئة وسنبين فيما يأتي ـ إن شاء الله ـ بدع كل فرقة من هذه الفرق.

أولا : بدعة الخوارج : [1]

ظهر الخوارج في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عام ٣٧هـ حيث اعترضوا على قبول التحكيم مع أنهم هم الذين أكرهوا علياً رضي الله عنه على قبوله عندما رفع أصحاب معاوية رضي الله عنه المصاحف.

ولما ذكرهم بإكراههم له قالوا : (ولكن ذلك كان منا كفراً فقد تبنا إلى الله عز وجل منه فتب كما تبنا نبايعك)[2].

وقد أتى القوم من سوء فهمهم لقضية التحكيم وزعموا : أن علياً حكّم الرجال في دين الله.

قال أحد الخوارج لعلي رضي الله عنه : (أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه)[3].

وشبهتهم تلك أنهم : (اعتلوا بقول الله عزوجل : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وقوله : ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

قالوا : فأمر الله عز وجل وحكم بقتال أهل البغي، وترك علي قتالهم لما حكّم وكان تاركاً لحكم الله سبحانه مستوجباً للكفر لقول الله عز وجل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[4].

---

(١) الخوارج : هذا الإسم اطلق على الفرقة التي خرجت على الإمام علي رضي الله عنه / الملل/١ك١١٤/و/المقالات/١ : ٥٦/.

(٢) تاريخ الطبري : /١:٥٧، ٦٦، ٧٢.

(٣) تاريخ الطبري /٥:٧٢/.

(٤) مقالات الإسلاميين /٢:١٤١/.

وقد حاول علي رضي الله عنه أن يزيل عنهم ما التبس عليهم من أمر التحكيم بأنه إنما حكم كتاب الله عزوجل وشرط على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن ويميتا ما أماته القرآن .

وكذلك فإن القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال[1].

ولكنهم لم يقبلوا منه واستمروا في ضلالهم حتى انتهى بهم الأمر إلى قتاله.

ومن ثم أصبحت الخوارج تحكم على كل مرتكب للكبيرة بأنه كافر يحل دمه وماله[2].

ثانيا : بدعة التشيع: [3]

التشيع لعلي رضي الله عنه كان في أول أمره معتدلاً حيث كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يقدمه على عثمان في الخلافة من غير تعرض لأحد من الخلفاء قبله بسب أو تجريح.

قال ابن تيمية رحمه الله : (وتواتر عن علي بن أبي اطلب أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ثم عمر» هذا متفق عليه بين قدماء الشيعة وكلهم كانوا يفضلون أبا بكر وعمر وإنما كان النزاع في

(١) تاريخ الطبري /٥: ٦٤-٦٦/.

(٢) استثنى الأشعري النجدات ـ أي لا يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة ـ ولكن الشهرستاني وغيره لم يستثنوا أحداً من الخوارج.
/المقالات/ ١ : ١٦٨/ والملل١: ١١٤/، والفتاوى/٣: ٢٧٩/.

(٣) شيعة كل رجل أنصاره وأعوانه وقد أطلق اسم «الشيعة» على الذين نصروا علياً وحاربوا معه وقدموه على عثمان ثم تطورت هذه الفرقة حتى أصبحت تشكل طائفة كبيرة لها عقائدها المستقلة ومناهجها الشاذة عن بقية المسلمين . راجع / المقالات/ ١: ٦٥/ و / الفرق بين الفرق/ ٢١، ٢٩/و/النلل/١: ١٣٢/.

علي وعثمــان حين صار لهذا شيعة ولهـذا شيعـة وأما أبـو بكر وعمر فلم يكن أحد يتـشيع لهما بل جمـيع الأمة كانت متـفقة عليهـما حتى الخوارج .....)[1].

ثم ظهر رجل يهودي اسمـه «عبد الله بن سبأ»[2] ادعى الاسلام وزعم محبة آل البيـت وغالى في علي رضي الله عنه وادعى له الوصية بالخلافةثم رفعه إلى مرتبة الألوهية.

قال البـغدادي : (السبئية : اتباع عـبد الله بن سبـأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله).

وقال البغدادي ـ كذلك ـ (وكـان ابن السوداء ـ أي ابن سبأ ـ في الأصل يهـوديا من أهل الحـيرة فـأظهـر الإسـلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سـوق ورياسة فـذكر لهم أنه وجد في التـوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي الله عنه وصيّ محمد ﷺ)[3].

وذكر الشهرستاني عن ابن سبأ أنه : (أول من أظهر القول بالنص بإمامـة علي رضي الله عنه) وذكر عن السـبئيـة أنها : (أول فرقـة قالت بالتوقف و الغيبة والرجعة)[4].

---

(١) النبوات /١٣٢/.

(٢) وعبد الله بن سبـأ من صنعاء اليمن أسلم في عهد عثمان أراد إفساد لإسلام بما أظهره من الغلو في علي ولكن الله خيب ظنه وحفظ دينه ولم يتبعه إلا طائفـة الشيعـة وأما الدين فقد حرسه الله عزوجل بأهل السنة.

راجع / فرق الشـيعـة / ٤٠/ والفرق بين الفرق / ٢٣٥ / والـنبوات / ١٣٢/ والملل / ١: ١٧٤/.

(٣) الفرق بين الفرق /٢٣٥/.

(٤) الملل/١:١٧٤/.

ثم ورثت الشيعة فيما بعد رغم اختلافها وتعدد فرقها : (القول بإمامة علي وخلافته نصاً ووصية)[1]، وهي من مخلفات ابن سبأ.

وقد تعددت فيما بعد فرق الشيعة وأقوالها إلى عشرات الفرق والأقوال.

وهكذا ابتدعت الشيعة القول بالوصية والرجعة والغيبة بل والقول بتأليه الأئمة[2].

ثالثا : بدعة القدرية :[3]

الحديث في القدر وتعلق أفعال العباد بمشيئة الله عزوجل من الأمور التي وجدت قبل الإسلام كما يحدثنا عن ذلك كتاب الله عزوجل. فقد جاء فيه أن مشركي قريش عزوا شركهم إلى مشيئة الله تعالى فأخبر الله عز وجل أنه كذلك قال الذين من قبلهم. قال الله عزوجل : ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾[4].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (جاء مشركو قريش إلى

---

(١) المصدر السابق /١:١٤٦/ وراجع (مقالات / الاسلاميين/١. : ٦٥-٨٩/.

(٢) راجع أصول الكافي /٣: ٢٤٠، ٢٧١/.

(٣) القدرية : اسم أطلقه أهل السنة على الذين يزعمون أنهم هم الفاعلون لأعمالهم دون الله عزوجل. وقد وردت بعض الآثار تصف القدرية بأنهم مجوس هذه الأمة وذلك لادعائهم القدرة على الفعل دون عون من الله سبحانه وتعالى.

(٤) سورة النحل/٣٥/.

النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت : ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾[1][2].

وحدث كذلك في عهد النبي ﷺ جدال بين بعض الصحابة في القدر فسمعهم النبي ﷺ وغضب عليهم فنهاهم عنه ـ كما تقدم ـ[3] فانتهوا ولم يعودوا.

ثم لم يظهر الحديث في القدر إلا بعد منتصف القرن الأول تقريباً أظهره معبد الجهني.

وقد أخذه معبد عن رجل نصراني أسلم ثم رجع إلى نصرانيته مرة أخرى فكان معبد بعد ذلك أول من نشره بين الناس.

روى مسلم عن يحيى بن يعمر أنه قال : (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني)[4].

وقال الأوزاعي : (أول من نطق في القدر : رجل من أهل العراق يقال له : سوسن[5] ـ كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد)[6].

وقال ابن عون: (أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي

---

(١) سورة البقرة : آية/ ٤٧٠/.

(٢) هذا الأثر سيذكره المؤلف رقم (٩٤٦) وراجع الحاشية هناك.

(٣) في الفترة الأولى .

(٤) رواه مسلم في صحيحه /ح : ٨/.

(٥) اختلف في اسم هذا النصراني فقيل : سوسن، وقيل : سنسويه، كما هنا وقال ابن سعد : سنهويه كما في الطبقات /٧:٢٦٤/ وقيل غير ذلك.

(٦) رواه اللالكائي / رقم : ١٣٩٨/ وراجع الحاشية هناك.

وعثمان حتى نشأ هاهنا حقير يقال له: سنسويه البقال.

قال: فكان أول من تكلم بالقدر)[1].

ومذهب القدرية أول ما ظهر هو: (إن الأمر انف)[2]، أي: (لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه)[3].

وبدعة القدر بالمعنى السابق مركبة من قضيتين:

الأولى: إنكار علم الله السابق بالحوادث.

الثانية: أن العبد هو الذي أوجد فعل نفسه.

والقدرية القائلون بهذاالقول قد انقرضت كما ذكر ابن حجر. عن القرطبي أنه قال: قد انقرض هذا المذهب ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين ـ قال ـ: والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وإنما خالفوا السلف في: أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال..[4].

وقد تبنت المعتزلة القول بالقدر فيما بعد وتعددت الفرق القائلة به وتعددت مذاهبها حوله.

رابعاً: بدعة الارجاء:

والإرجاء: هو تأخير العمل عن الإيمان، قال البغدادي: (وإنما

---

(١) رواه اللالكائي /رقم: ١٣٩٦/وراجع الحاشية هناك.

(٢) رواه مسلم في صحيحه /ح: ٨/.

(٣) ذكره النووي في شرح مسلم /١: ١٥٦/.

(٤) فتح الباري /١: ١١٩/ وراجع (النووي على مسلم / ١: ١٥٤/ وجامع العلوم والحكم /١٨/.

سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان[١].

وأول ما ظهر الإرجاء إنما كان رد فعل لتكفير الخوارج للحكمين ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وليس هو الإرجاء المتعلق بالإيمان.

فإن أول من تكلم في الإرجاء هو : «الحسن بن محمد بن الحنفية» المتوفى عام ٩٩هـ[٢] وقد ذكر ذلك كل من ترجم له رحمه الله.

قال ابن سعد في ترجمته : (وهو أول من تكلم في الإرجاء - ويذكر كذلك - . أن زاذان وميسرة دخلا عليه فلاماه على الكتاب الذي وضع في الإرجاء، فقال لزاذان : يا أبا عمر لوددت أني كنت مت ولم أكتبه)[٣].

وهذا الكتاب إنما فيه إرجاء أمر المشتركين في الفتنة التي حدثت بعد خلافة الشيخين - أبي بكر وعمر - إلى الله عز وجل.

ويؤكد لنا ابن حجر رحمه الله هذا المعنى - وقد اطلع على هذا الكتاب - فيقول : (المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة : المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب محمد بن الحسن المذكور : أخرجه ابن أبي عمر في كتاب الإيمان له في آخره قال :

حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن : كان الحسن بن

---

(١) الفرق بين الفرق/٢٠٢/.

(٢) هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب وقد اشتهر بالنسبة إلى أمه وهي من بني حنيفة وكان من أعلم الناس بالاختلاف وكان من أوثق الناس. وراجع (تهذيب التهذيب /٢: ٣٢٠) وكتب التراجم).

(٣) الطبقات / ٥ : ٣٢٨/.

محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب على الناس :

(أما بعد : فإنا نوصيكم بتقوى الله ـ فذكر كلاماً كثيراً في الموعظة والوصية بكتاب الله واتباع ما فيه وذكر اعتقاده ـ ثم قال في آخره : ونوالي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ونجاهد فيهما لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة ولم تشك في أمرهما ونرجيء من بعدهما ممن دخل في الفتنة فنكل أمرهم إلى الله .....إلى آخر الكلام)(١).

فهذا هو الإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد وقد أكد ابن حجر رحمه الله وهو المطلع على الكتاب أن : (الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان لم يعرّج عليه).

ولكن ورد في بعض المصادر الإسلامية أن «المرجئة» كانت معروفة في أواخر القرن الأول.

ففي صحيح البخاري : أن زبيد ـ بن الحارث اليامي ـ سأل أبا وائل عن المرجئة؟(٢).

وفي رواية أبي داود الطيالسي أكثر وضوحا من رواية البخاري حيث يقول : (لما ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل فذكرت ذلك له...)(٣).

ويعلق ابن حجر على ذلك فيقول : (فظهر من هذا أن سؤاله عن

---

(١) تهذيب التهذيب / ٢ : ٣٢٠، ٣٢١/. وقد طبع كتاب الإيمان لابن أبي عمر العدني وفي آخره كتاب الحسن بن محمد عبارة عن رساله في ثلاث صفحات وهي كما قال ابن حجر رحمه الله.

(٢) (ح ٤٨) بشرح فتح الباري.

(٣) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود / ٢ : ٧٥/.

معتقدهم وأن ذلك كان حين ظهورهم وكانت وفاة أبي وائل سنة ٩٩هـ وقيل ٨٢هـ).[1].

وتذكر كتب الفرق : أن غيلان الدمشقي الذي ورث القدر عن معبد أنه كان مرجئاً.

يقول أبو الحسن الأشعري : : (وذكر زرقان عن غيلان : أن : الإيمان هو الاقرار باللسان وهو التصديق. وأن المعرفة بالله فعل الله تعالى وليست من الإيمان)[2].

بل ذكر الشهرستاني أن غيلان : (أول من قال بالقدر والإرجاء)[3].

ونحن نوافقه في كونه أول من قال بالإرجاء . وأما القدر فقد تقدم ذكر أول من قال به.

وغيلان هذا قتل بعد عام ١٠٥هـ فيكون قد عاش في أواخر القرن الأول وهو أقدم من روى عنه هذا القول - أي الإرجاء في الإيمان - .

ثم جاء الجهم بن صفوان المقتول عام ١٢٨هـ فقد قال : بأن : الإيمان هو المعرفة - وسيأتي قوله - ولعله أخذه من غيلان إذ كلاهما كانا موجودين في أوائل القرن الثاني والله أعلم.

---

(١) فتح الباري / ١ : ١١٢/.

(٢) مقالات الاسلاميين / ١ : ١٢١٧/ وراجع (الفرق بين الفرق / ٢٠٦/ والملل/١ : ١٤٦/.

(٣) الملل/ ١: ١٣٩/.

الفترة الثالثة : (١٠٠ - ١٥٠هـ) :

وفي مطلع القرن الثاني ظهر أربعة أشخاص من المبتدعة صار كل واحد منهم فيما بعد رأساً في الضلال.

وهؤلاء الأشخاص هم :

١- واصل بن عطاء[١] (١٣١هـ) وهو مؤسس فرقة المعتزلة.

٢ - الجعد بن درهم[٢] (١٢٤ هـ).

٣ - الجهم بن صفوان[٣] (١٢٨هـ).

٤ - مقاتل بن سليمان[٤] (١٥٠هـ).

---

(١) واصل ابن عطاء البصري. كانت ولادته بالمدينة عام ٨٠هـ، وتتلمذ على الحسن البصري ثم لما أحدث بدعة المنزلة بين المنزلتين طرده من مجلسه فاتخذ له مجلساً خاصاً وانحاز إليه من وافقه على مذهبه. توفي عام ١٣١هـ.
راجع/ التنبيه والرد/ ٣٧، ٣٨ / والفرق بين الفرق/ ٢٠، ٢١/ والملل/ ١ : ٢٨، ٢٩/ و/ الميزان/ ٤ : ٣٢٩/.

(٢) الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة أصله من خراسان سكن دمشق فلما أظهر القول بخلق القرآن تَطَلّبه بنو أمية فهرب إلى الكوفة فلقي الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ولكن خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة قبض عليه وقتله يوم عيد الأضحى من عام ١٢٤هـ.
راجع /اللباب/١ :٢٨٢/و/ البداية/ ٩ : ٣٥٠/ و/ الميزان/ ١ : ٣٩٩/.

(٣) الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي ظهر في ترمذ ثم انتقل إلى بلخ وأقام بها يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران حتى نفي إلى ترمذ ثم خرج على السلطان مع الحارث بن سريج فقتله سلم بن أحوز بأصبهان وقيل بمرو سنة ١٢٨هـ.

(٤) مقاتل بن سليمان بن بشر البلخي وقد اشتهر بتفسير القرآن والناس مختلفون فيه ما بين موثق ومجرح. توفي سنة ١٥٠هـ.
راجع / تاريخ بغداد/ ١٣: ١٦٠/، والميزان/ ٤ : ١٧٣/.

أولا : بدع واصل ـ وهي بدعتان :

الأولى : حكمه على مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

يقول الشهرستاني : (دخل واحد على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر. والكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة. وهم وعيدية الخوارج.

وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر. والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة : وهم مرجئة الأمة.

فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟.

فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول : أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين : لا مؤمن ولا كافر)(١).

وهذه الحادثة تبين لنا سبب قول واصل هذا.

البدعة الثانية : زعمه أن أحد الفريقين المتحاربين من الصحابة فاسق من غير تحديد له، ولهذا فقد طعن في عدالتهم ولم يقبل شهادة أحد منهم(٢).

ثانيا : بدع الجعد :

كان أول من قال بخلق القرآن وأنكر أن يكون الله قد تكلم به

---

(١) الملل /١ : ٤٧-٤٨/ وراجع الفرق بين الفرق/ ٢٠، ١١٨-١٢١/.

(٢) التنبيه والرد/ ٣٦/ والفرق بين الفرق/ ١٢٠/.

على الحقيقة وأنكر أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً.

وهو أول من تكلم في صفات الله عزوجل وأنكرها وقد لاحظ شيخه وهب بن منبه منه بداية انحراف لكثرة اسئلته عن صفات الله عزوجل فقال له وهب : ويلك يا جعد اقصر المسألة عن ذلك إني لأظنك من الهالكين لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك وأن له عيناً ما قلنا ذلك ... وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك(١).

وقد ذكر ابن تيمية : (أن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن الله سبحانه ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى يعني استولى ونحو ذلك ـ هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه)(٢).

وقال السيوطي في «كتاب الأوائل» : (أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد ـ يعني في الإسلام ـ : الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال : بأن الله تعالى لا يتكلم)(٣).

ثالثا : بدع الجهم :

تبنى الجهم آراء الجعد بن درهم والتي هي : نفي صفات الله عزوجل والقول بخلق القرآن ثم زاد عليها بدعاً أخرى هي :

الأولى ـ القول بالجبر : حيث زعم أن الإنسان لا يقدر على

---

(١) البداية / ٩ : ٣٥٠/.

(٢) الفتاوى / ٥ : ٢٠/ وبيان تلبيس الجهمية/١ : ١٢٧/.

(٣) لوامع الأنوار البهية/ ١ : ٢٣/.

شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور على أفعاله.

الثانية ـ القول بأن الإيمان هو المعرفة : حيث زعم أن الإيمان : هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط.

الثالثة ـ القول بفناء الجنة والنار : حيث زعم أنهما تفنيان بعد دخول أهلهما إذ لا تتصور ـ حسب زعمه ـ حركات لا تتناهى.

الرابعة ـ القول بأن علم الله حادث : حيث زعم أنه : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه)[1].

وجاء عن ابن أبي داود أن جهماً تاب من قوله.

فقد روى بسنده عن إبراهيم بن طهمان أنه قال : حدثنا من لا اتهم غير واحد أن جهما رجع عن قوله ونزع وتاب إلى الله. ما ذكرته ولا ذكر عندي إلا دعوت الله عليه ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم[2].

والله أعلم بصدق هذه الرواية عنه.

رابعاً : بدع مقاتل بن سليمان :

بالغ مقاتل في إثبات صفات الله عزوجل حتى شبَّه [3]. ولعل السبب في تطرفه ذلك هو غلو الجهم في إنكار صفات الله عزوجل. قال الذهبي : (وظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا إلى تعطيل

---

(١) الفرق بين الفرق/٢١١، ٢١٢/ ومقالات الاسلاميين/ ١ : ٢١٤، ٣٣٨/ والملل / ١ : ٨٦/.

(٢) مسائل الإمام أحمد/ ١١٠/.

(٣) راجع (مقالات الإسلاميين / ١ : ٢٨٣/).

الرب عز وجل وخلق القرآن وظهر بخراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر وبالغ في إثبات الصفات حتى جسم)[1].

وجاء عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: (أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل ومقاتل مشبه)[2].

ونقل الذهبي عن ابن حبان أنه قال في مقاتل: (كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث)[3].

الفترة الرابعة: (١٥٠ هـ - ٢٣٤هـ)

هذه الفترة لم يجد فيها بدعة جديدة وإنما تداخلت فيها البدع بعضها في بعض حتى انحصرت الفرق فيها إلى أربع فرق وهي:

١ - الخواج.

٢ - الشيعة.

٣ - المعتزلة.

٤ - المرجئة.

فالشيعة تبنت المشبهة والمعتزلة تبنت القدرية وجزءاً من الجهمية، والجبرية دخلت في المرجئة وغيرها من الفرق.

وقد نشطت المعتزلة في هذه الفترة. وتوسع زعماؤها في البحث

---

(١) تذكرة الحفاظ /١٥٩، ١٦٠/، المراد هنا بـ: «جسّمَ» أي: شبَّه.

(٢) تاريخ بغداد /١٣: ١٦٤/.

(٣) الميزان/ ٤: ١٧٥/.

والتدقيق واطلعوا على كتب الفلاسفة التي ترجمت في عهد المأمون (١٩٨هـ - ٢١٨هـ).

يقول الشهرستاني : (ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام)[١].

واحدثوا أقوالا غريبة وآراء شاذة بعضها كان سبباً في تكفير بعضهم البعض بل وتكفير غيرهم لهم كما ذكره البغدادي رحمه الله[٢].

ولعل السبب في ولوع المعتزلة بالمناهج العقلية والفلسفية هو كثرة الأديان والمذاهب في البلاد الإسلامية المفتوحة ... من يهودية ... ونصرانية ... ومجوسية ... وزرداشتية ... وسمنية ... إلى غير ذلك من الطوائف التي لا تؤمن (بالنقل) الكتاب والسنة - فلا بد لها إذن من الجدال (بالعقل) لرد شبهاتهم وإبطال عقائدهم[٣].

ولكن المعتزلة لم يكتفوا بحاجتهم من ذلك بل أخذوا من الفلسفة ما ضرره أكثر من نفعه فخرجوا بمذاهب شاذة وآراء منحرفة.

وبعرض بعض عقائد أعلام المعتزلة في هذه الفترة يتبين لنا ذلك الشذوذ.

فأبو الهذيل العلاف [٢٢٦هـ] : وهو من أوائل رواد هذه الفترة

---

(١) الملل/ ١ : ٢٨/.

(٢) الفرق بين الفرق /١٢٢، ١٣٢/.

(٣) راجع ضحى الإسلام (١ : ٣٢٢-٤٠٨ و ٣ : ١-١٠٨).

يقول في بعض آرائه :

(إن مقدورات الله عز وجل تفنى حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء)[1].

فأي قول هو أشنع من هذا القول الباطل الذي يذكره زعيم المعتزلة.

ثم زعم (أن الله عالم بعلم وأن علمه هو ذاته وقادر بقدرة وقدرته هو ذاته ...) إلى غير ذلك من الصفات.

وقال الشهرستاني في قوله هذا : (وإنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة)[2].

وزعم ـ كذلك ـ (أنه يجب على المكلف ـ قبل ورود السمع ـ أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وإن قصّر في المعرفة استوجب العقوبة أبداً....)[3] إلى آخر كلامه.

فهذه بعض آرائه وله آراء أخرى في كتب الفرق والملل لا تقل عنها شذوذا وفساداً.

ومن زعماء المعتزلة في هذه الفترة كذلك ـ النظام [٢٣١هـ] ـ وهو معاصر للعلاف بل وتلميذه وكان يفوقه في ذكائه وسعة اطلاعه ولكنه كما قال الشهرستاني: (قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن أصحابه

---

(١) الفرق بين الفرق /١٢٢/.
(٢) الملل / ١ : ٤٩-٥٠/.
(٣) المصدر السابق (١: ٥٣/).

بمسائل)[1] وذكرها ومنها :

١ ـ زعمه (أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالى)[2] ...إلى آخر كلامه الذي ينسب فيه العجز إلي الله تبارك وتعالى مما لا يقوله مسلم.

٢ ـ أنكر إعجاز القرآن في نظمه وأنكر ما روي من معجزات نبينا ﷺ : من انشقاق القمر وتسبيح الحصا في يده[3]....إلى آخر ما ورد منها في كتب السنة.

٣ ـ ولعله هو أول من أحدث الكلام في الجوهر والعرض والذي أصبح فيما بعد قاعدة من قواعد المعتزلة في الحديث عن الله عزوجل وصفاته.

٤ ـ ثم أنه زاد على ذلك كله الطعن على أصحاب رسول الله ﷺ.

يقول البغدادي : (ثم إن النظام ـ مع ضلالاته التي حكيناها عنه ـ طعن في خيار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم فذكر الجاحظ في (كتاب المعارف) وفي كتابه المعروف بـ (الفتيا) أنه عاب على أصحاب الحديث روايتهم أحاديث أبي هريرة وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس وطعن في الفاروق عمر ... وعاب عثمان ... وابن مسعود ... ـ حاشاهم جميعا ـ.

ثم ذكر علياً رضي الله عنه وزعم أنه سئل عن بقرة قتلت

---

(١) الملل/ ١ : ٥٣/.

(٢) المرجع السابق ؟ ١ : ٥٤ / والفرق بين الفرق / ١٣٣/.

(٣) الفرق بين الفرق /١٣٢، ١٤٣/ والملل/ ١ : ٥٦/.

حمـاراً فقال : أقول فيها برأي ـ ثم قال : بجهله : من هو حتى يقضي برأيه؟[1].

هذه هي جرأة «النظام» على خيار الأمة وأفضلها بعدنبيها ﷺ.

ومن معاصري العلاف والنظام : أحمد بن خابط والفضل الحدثي.

وقد ذكر الشهرستاني : أنهما كانا من أصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً وضما إلى مذهب النظام ثلاث بدع :

البدعة الأولى : إثبات حكم من أحكام الإلهية في المسيح عليه السلام...الخ.

البدعة الثانية : القول بالتناسخ..الخ.

البدعة الثالثة : حملهما كل ما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله عليه الصلاة والسلام : (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع....الخ[2].

وقد نشطت المعتزلة في هذه الفترة بشتى فرقها في البحث والتدقيق ومناقشة المسائل الخفية والجلية بالمنهج (العقلي) وحده مع خلطه بمناهج الفلاسفة اليونان التي ترجمت في هذه الفترة.

---

(١) راجع الفرق بين الفرق /١٤٧-١٥٠/ والملل ١ : ٥٧-٥٨/ واللالكائي رحمه الله قد أورد الأدلة النقلية على إثبات المعجزات الحسية لنبينا ﷺ في مبحث البعثة آخر هذا المجلد. وذكر في المجلد الثاني فضل الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) الملل / ١ : ٥٩-٦٢/ والفرق بين الفرق/٢٧٧/.

وقد استطاعت المعتزلة في أوائل القرن الثاني إقناع الخليفة العباسي (المأمون) بتبني عقائدها والدعوة إليها وفي مقدمتها : القول : بخلق القرآن فاستجاب لهم في سنة ٢١٨هـ وأعلن تلك العقيدة وحمل الناس على اعتقادها بالسيف والاكراه فقتل بعضهم وحبس البعض الآخر فهلك في هذه السنة.

ثم ورث المعتصم والواثق عقيدة المأمون وسارا في طريق الفتنة والمعتزلة تؤيدهما وتقوي من عزمهما.

واستمرت الفتنة إلى عهد المتوكل الذي تولى الخلافة سنة ٢٣٢هـ فرفعت الفتنة في عهده[١].

هذا خبر المعتزلة إلى نهاية هذه الفترة وقد كانت لهم فيها رسائل ومولفات لنصرة مذهبهم وتوضيح عقائدهم[٢].

وتخصيص المعتزلة بحديثنا عنهم في هذه الفترة ـ دون الفرق الأخرى ـ لأن الصراع بينها وبين أهل السنة قد بلغ ذروته وتعرض أهل السنة ـ على أيديهم ـ فيها إلى أنواع من البلاء والأذى كما حدث لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة وذلك كله لانحراف المنهج الذي سارت عليه المعتزلة في فهم الدين حيث قدمت العقل على النقل فما أمر به أو صححه اتبعوه وما رده وقبحه ولم يقبلوه فتنبه السلف لخطورة ذلك المنهج الضال الذي ينتهي بأتباعه إلى إبطال الشريعة فقاوموه أشد المقاومة وحذروا الناس من شره وفساده.

---

(١) راجع تاريخ الطبري / ٨ : ٦٣١/ والبداية/ ١٠ : ٣٣٠/ وطبقات الشافعية الكبرى / ٢ : ٣٧-٦١/.

(٢) راجع / التنبيه والرد/٣٧-٤٠/.

الفترة الخامسة : (٢٣٢-٣٢٤هـ)

ظهر في هذه الفترة شخصان من المبتدعة كان كل واحد منهما بداية لظهور طائفة جديدة :

الأول : عبد الله بن سعيد بن كلاَّب (ت : ٢٤٢هـ)[1].

الثاني : محمد بن كرام السجستاني (ت : ٢٥٥هـ)[2].

وفيما يلي عرض موجز للبدع التي ظهرت على أيديهما :

أولاً : بدع عبد الله بن سعيد بن كلاّب :

من أهم البدع التي ابتدعها ابن كلاب بدعتان :

الأولى : بدعة نفي الصفات الاختيارية.

الثانية : الكلام النفسي.

فأما البدعة الأولى وهي : (نفي الصفات الاختيارية) لله عز وجل. فالمراد منها أنه يزعم أن الله سبحانه وتعالى لا تقوم به صفات اختيارية وأنه لا يرضى متى شاء ويغضب متى شاء ونحو ذلك من الصفات الفعلية .

قال أبو الحسن الأشعري : (قال عبد الله بن كلاب : ان الله سبحانه لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته وأنه لم يزل عالماً قادراً حياً سميعاً بصيراً عزيزاً جليلاً كبيراً عظيماً جواداً واحداً أحداً صمداً فرداً باقياً أولاً سيداً مالكاً رباً رحماناً مريداً محباً مبغضاً راضياً ساخطاً موالياً معادياً قائلاً متكلماً بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة وجلال وعظمة وكبرياء وكرم وجود وبقاء وإلهية ورحمة وإرادة وكراهية وحب وبغض ورضى وسخط وولاية وعداوة وكلام وإن

(١) انظر ترجمته في / سير أعلام النبلاء / ١١/١٧٤/ ولسان الميزان / ٣/٢٩٠/.
(٢) انظر ترجمته في / سير أعلام النبلاء / ١١/٥٢٣/.

ذلك من صفات الذات ...)[1].

هذه الجملة التي أثبت فيها ابن كلاب جملة من الأسماء والصفات اشتملت على ثلاث مسائل :

١ ـ إثباته قدم الأسماء والصفات ودوامها في الماضي ولم يثبت تجدد شيء منها في الحاضر والمستقبل.

أي أنه أثبت لله عزوجل أنه لم يزل راضياً ساخطاً متكلماً ... في الماضي ولم يثبت أنه يتكلم الآن أو مستقبلا بما شاء سبحانه.

٢ ـ لم يفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال.

فصفة الغضب والرضى والمحبه والسخط والكلام...ونحوها صفات فعل.

وأما صفة السمع والبصر والعزة والجلال ... ونحو ذلك فهي صفات ذات.

فالأولى ليست دائمة بل يرضى أحياناً على العبد ويغضب أحياناً ويتكلم أحيانا ولا يتكلم أحياناً ... فهو سبحانه يفعل ذلك متى شاء.

أما صفة السمع والبصر والعزة والجلال فهي دائمة في كل حين، ومع ذلك فإنه لم يفرق بينهما.

٣ ـ أنه أكد ذلك بقوله «وأن ذلك من صفات الذات» فهو بذلك لا يثبت لله عزوجل صفة فعل مع أن الصفات التي أوردها منها صفات أفعال ومنها صفات ذات كما تقدم.

---

(١) مقالات الاسلاميين ٢/٢٢٥.

قال ابن أبي العز : (عارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه فقالوا : لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة فلا يرضى في وقت دون وقت ولا يغضب في وقت دون وقت....)(١).

وأما البدعة الثانية : وهي زعمه بأن الكلام نوعان : كلام نفسي وكلام لفظي.

وأن المراد بوصف الله عزوجل بأنه يتكلم إنما هو وصف لما في نفس الله لا للقرآن اللفظي وهذا القرآن اللفظي إنما هو «حكاية» عن الكلام النفسي أو دال عليه أو نحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون : إن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى)(٢).

وأخبر رحمه الله أن (أول من أحدثه ـ أي هذا القول ـ إبن كلاب)(٣).

وقال الذهبي رحمه الله عن ابن كلاب : (وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة وبلا مشيئة وهذا ما سبق إليه أبداً)(٤).

وذكر إبن السبكي أن ابن كلاب وأبا العباس القلانسي ذهبا:

---

(١) شرح الطحاوية /٦٨٩/ وانظر/ الفتاوى/٦/٢١٩/و/٥/٤١٠/. و/ ٢١/ ٣٦٦/.
(٢) الفتاوى /١٢/١٢٠/.
(٣) الفتاوى/٨/ ٤٢٤/.
(٤) سير أعلام النبلاء /١١/١٧٥/.

(إلى أن كلامه تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر في الأزل لحدوث هذه الأمور وقدم الكلام النفسي وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال)[1].

وقال ابن أبي العز : وهو يبين الأقوال في القرآن : «الثالث : انه اسم للمعنى فقط واطلاقه على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه»[2].

وقد ورث هذه البدع أبو الحسن الأشعري رحمه الله[3] قبل أن يعود إلى مذهب السلف.

وزاد عليها بدعتين :

الأولى : في القدر وهو قوله بالكسب والذي يعتبر إحدى صور عقيدة الجبرية عند التحقيق.

قال ابن تيمية رحمه الله في معرض ذكر من رد على المعتزلة :

(وقال من رد عليهم من المائلين إلى الجبر : بل هي فعله وليست أفعالاً للعباد بل هي كسب للعبد. وقالوا : إن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها وإن الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها فيكون الفعل خلقاً من الله ابداعاً واحداثاً، وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته ..)[4] .

---

(١) طبقات الشافعية : /٢/٣٠٠/.

(٢) شرح الطحاوية : /٩٩/.

(٣) وكذلك أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) فإنه معاصر للاشعري وقد تأثر بمذهب ابن كلاب وشارك الأشعرية في كثير من عقائدها .
انظر شرح الطحاوية (١٨٧ و ٤٦٠)

(٤) الفتاوى/٨/١١٨/.

الثانية : قوله بقول الجهمية في الإيمان .

قال ابن تيمية رحمه الله : (وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع انه نصر المشهور عن أهل السنة من انه يستثني في الإيمان)[1].

وقال أبو المعالي الجويني عن الإيمان : (وأما مذاهب أصحابنا فصار أهل التحقيق من أصحاب الحديث والنظار منهم إلى أن الإيمان هو التصديق وبه قال شيخنا أبو الحسن رحمة الله عليه)[2] /فتاوى /٧/١٤٥.

هذه العقائد الأربع اصبحت اسباً لعقيدة الاشعرية فيما بعد علماً بأن أبا الحسن الاشعري رحمه الله قد أعلن عودته إلى مذهب السلف كما في كتابه الإبانة ومقالات الإسلاميين.

فقد قال في مقالات الإسلاميين بعد أن أورد عقيدة أهل الحديث:

«وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله....»[3].

فأعلن تمسكه بما كان عليه أهل الحديث فأي قول له بعد ذلك يخالف هذا الإعلان يكون ملغياً، فيكون المذهب المنسوب إليه خطأً والصحيح انه مذهب «كلاّبي» وليس اشعريا والله أعلم.

---

(١) الفتاوى / ٧/ ١٢٠/.
(٢) فتاوى / ٧ / ١٤٥ / .
(٣) مقالات الإسلاميين /١/ ٣٥٠/.

ثانيا : بدع محمد بن كرام السجستاني :

من أهم البدع التي ابتدعها ثلاث :

الأولى : التزامه واتباعه بإطلاق الجسمية على الله عز وجل فإنه لما قيل لهم إن وصف الله عزوجل بالصفات يقتضي الجسمية : (قالوا : نعم هو جسم لا كالأجسام) .[1]

وهذا ابتداع في الدين حيث لا يجوز أن يسمى الله عزوجل أو يوصف بغير ما جاء في الكتاب والسنة.

الثانية : زعمه هو وأصحابه أن الله عزوجل (صار متكلما بعد أن لم يكن)[2] ، وهذا يلزم منه نفي صفة الكمال عنه سبحانه وتعالى.

الثالثة : قوله ان الإيمان هو قول فقط.

قال أبو الحسن الاشعري رحمه الله : (والفرقة الثانية عشرة من المرجئة : الكرامية أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الاقرار والتصديق باللسان دون القلب وانكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً...)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والكرامية قولهم في الإيمان قول منكر لم يسبقهم إليه أحد حيث جعلوا الإيمان قول اللسان وإن كان مع عدم التصديق)[4].

هذه جمله العقائد المبتدعة إلى نهاية هذه الفترة.

---

(١) الفتاوى/٦/٣٦/.

(٢) الفتاوى /٦/٣٢٥/.

(٣) مقالات الإسلاميين /١/٢٢٣/.

(٤) الفتاوى /٣/١٠٣/.

المبحث الثـاني

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع

لم يكن ظهور البدع في المجتمع المسلم الذي قام على أساس من العقيدة الصحيحة المأخوذة من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ - لم يكن ذلك شيئا عاديا بل كان أمرا شاذا يحتاج إلى بيان ودراسة للتعرف على تلك الأسباب.

ولعل أهم تلك الأسباب خمسة وهي :

أولاً : الغلو :

ويمثله مذهب الخوارج والشيعة .

أما الخوارج : فقد غلوا في فهم آيات الوعيد وأعرضوا عن آيات الرجاء والوعد بالمغفرة والتوبة كقوله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]. ونحوها من الآيات وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه : (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[2] ونحو ذلك من النصوص الشرعية.

يقول شارح الطحاوية : (وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج

---

(١) آية : ٤٨، ١١٦/ سورة النساء.

(٢) أخرجه الترمذي وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه / ح : ٣٥٤٠/ وراجع جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢٨٤).

والمعتزلة تبين لك فساد القولين[1].

وأما الشيعة : فقد كان الغلو ـ كذلك ـ أحد أسباب ظهورها والذي كان إبن سبأ اليهودي حامل لوائه ـ كما رأينا ذلك من قبل ـ .

ثم كان قتل الحسين[2] رضي الله عنه مقوياً لتيار الغلو وجاء المختار بن أبي عبيد الثقفي ليستغل ذلك الحادث وتتبع القتلة فقتلهم وأحيا قضية الإمامة والبيعة لابن الحنفية ولكن ابن الحنفية[3] تبرأ منه لما علم انحرافه.......

ثم استمر خط التشيع في الانحراف حتى وصل الغلو إلى رفع الأئمة إلى درجة النبوة بل وإلى مقام الألوهية...

ثانياً : الرد على البدعة ببدعة مثلها أو أشد منها :

ويمثل ذلك المرجئة والمعتزلة والمشبهة والجهمية.

فالمرجئة : بدأت ـ كما تقدم ـ في موجهة الخوارج الذين كفروا علياً رضي الله عنه والحكمين معه فقالت المرجئة : لا نحكم فيهم ونرجيء أمرهم إلى الله ولكن لم يلبث الحديث في الإرجاء إلى أن انتهى إلى القول بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة.

ثم ظهرت المعتزلة ببدعة ـ المنزلة بين المنزلتين ـ كخط وسط بين

---

(١) شرح الطحاوية /٢٥٢/.

(٢) قتل الحسين عام ٦١هـ وقتل المختار عام ٦٧هـ / راجع تاريخ الطبري / ٥ : ٤٠٠ / وتاريخ ابن كثير / ٧ : ١٨٣/.

(٣) راجع (المقالات ١ : ٩٢) (الفرق /٣٨) و ٠الملل/١: ١٤٧).

الخوارج والمرجئة ـ كما تقدم من جواب واصل للسائل الذي عرض سؤاله في مجلس الحسن البصري وذكر موقف الخوارج والمرجئة من مرتكب الكبيرة وطلب من الحسن بيان الاعتقاد الصحيح في ذلك فسبقه واصل وذكر أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين فرد على البدعة ببدعة.

وأما المشبهة : فقد كانت رد فعل للمعطلة الجهمية التي كانت معها في بلدة واحدة «مدينة بلخ» حيث كان بها الجهم بن صفوان يقرر نفي الصفات عن الله عزوجل فقام مقاتل بن سليمان بالرد عليه وبالغ في إثبات الصفات حتى انتهى به ذلك إلى تشبيه الله عز وجل بخلقه.

فأراد أن يرد على البدعة فابتدع أخرى لا تقل فساداً عنها.

وأما الجهمية : فقد ردت على بدعة القدرية ببدعة أخرى وهي القول بـ «الجبر» حيث كانت القدرية تزعم أن العبد هو الخالق لفعل نفسه وليس الله عزّوجل فجاء الجهم ليرد على تلك البدعة فعكس القضية تماماً فقال بل : الله هو الخالق الموجد والعبد مجبور على فعله ولا قدرة له عليه ولا اختيار بل هو كالسعفة في مهب الريح ...فرد على البدعة ببدعة أخرى مثلها أو أشد منها لأنها تنتهي إلى إبطال التكليف والجزاء.

ثالثاً : المؤثرات الأجنبية :

ونعني بذلك تأثير أرباب الأديان والمذاهب الأخرى في عقائد الفرق الدينية المنحرفة ويتمثل ذلك في : الشيعة والقدرية والجهمية.

فأما الشيعة : فقد مر معنا أن : «عبد الله بن سبأ، اليهودي» كان

أصل وجود الغلو في علي رضي الله عنه.

يقول البغدادي : (وقال المحققون من أهل السنة : إن ابن السوداء ـ أي إبن سبأ ـ كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقد النصارى في عيسى عليه السلام)[1].

وذلك أن ابن سبأ أنكر موت علي رضي الله عنه وقال : (إن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم......وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه)[2].

وبهذا يتبين لنا ما أراده هذا اليهودي من ادعائه للإسلام، وقد أصبحت العقائد التي أظهرها أساساً لفرق الشيعة فيما بعد ... فمن مدع للوصية إلى معتقد للالوهية في علي والأئمة بعده ... إلى غير ذلك من آرائه الشاذة التي أعلنها ونادى بها.

وقد استغل ـ كذلك ـ أعداء الإسلام من الفرس مذهب التشيّع لأنه كان أقرب المذاهب لوصولهم إلى أغراضهم في الكيد للإسلام بعد أن فشلوا في إيقاف المد الإسلامي الذي حطم دولتهم.

وقد أدرك ابن حزم رحمه الله تلك الحقيقة فذكر عن الفرس أنهم لما فشلوا في حرب الإسلام بالسيف فكروا في وسيلة أخرى لحربه (فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيّع بإظهار محبة أهل بيت رسول اله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى

(١) الفرق بين الفرق /٢٣٥/.
(٢) المصدر السابق /٢٣٤/.

أخرجوهم عن الإسلام)[1].

وهكذا أصبح الإنحراف مطية لأعداء الله لينالوا من دينه ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا من أهل الحق الذين عرفوا دين الله عزّ وجل واستقاموا عليه.

وأما القدرية : فقد مر معنا أن أول من نطق بمقالتهم رجل نصراني يسمى «سنسويه» ثم تلقاها عنه معبد الجهني.

وأما الجهمية : فقد روى ابن كثير عن إبن عساكر : (أن الجعد أخذ مقالته عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالوت إبن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته وأخذها لبيد بن أعصم الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن. وأخذ عن الجعد: (الجهم بن صفوان)[2].

وذكر ابن تيمية رحمه الله : (أن الجعد بن درهم قيل أنه من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة....فكانت الصابئة ـ إلا قليلاً منهم ـ إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة ـ ثم قال رحمه الله ـ ومذهب النفاه من هؤلاء في الرب : أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما ... فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة)[3].

وقد أخذها عن الجعد بن درهم : الجهم بن صفوان وقد تعرض

---

(١) الفصل/٢ : ١١٥/.
(٢) البداية / ٩: ٣٥٠/.
(٣) الفتاوى / ٥ : ٢١، ٢٢/ وراجع الملل/ ٢ : ١١٢/.

هذا كذلك لمخالطة (السمنية)[1] ومناظراتهم.

فقد روى الإمام أحمد رحمه الله مناظرة وقعت بين الجهم والسمنية في إثبات الله عزّ وجل إنتهى فيها الجهم إلى أن شبه الله فيها بالروح التي لا ترى ولا تحس ولا تسمع[2].

ومما تقدم يتبين لنا أن كثيراً من عقائد الفرق الضالة قد تأثرت بمؤثرات أجنبية عن الدين الإسلامي.

رابعاً : تحكيم العقل في القضايا الشرعية :

وقد أتي أصحاب البدع السابقة كذلك من قبل تحكيمهم لـ : (العقل) في أمور العقيدة وعدم قبول أي حديث يخالف ما تقرر في أذهانهم بحكم العقل أو تأويلهم له فأدى بهم ذلك إلى رد كثير من الأحاديث الشريفة الصحيحة والطعن في رواتها.

وقد تحدث الشاطبي رحمه الله عن بعض طرق الاستدلال عند المبتدعة. فذكر منها : (ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للمعقول وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها كالمنكرين لعذاب القبر ...وذكر جملاً من الأحاديث المردودة).. ثم قال : (وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول) .

وربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى

---

(١) إحدى المذاهب المنحرفة من أهل الهند من عباد الأصنام ويزعمون قدم العالم ويحصرون دلائل المعرفة في الحواس الخمس (الفرق بين الفرق /٢٧٠) و (لسان العرب /١٣: ٢٢٠).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة /٢٧، ٢٨/ وانظر الكتاب المحقق الأثر: /٦٣٤ و٦٣٥/.

عنهم - حاشاهم - وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم)[1].

وبالعودة إلى تراجم رواد المعتزلة نرى مصداق ذلك الاتجاه بارزاً في كلامهم.

فقد روى الخطيب - بسنده - عن عمرو بن عبيد وهو من رواد الاعتزال أنه ذكر حديث الصادق المصدوق [2] فقال : (لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له : (ليس على هذا أخذت ميثاقنا)[3].

وقد ذكر ابن قتيبة أن النظام - كذلك - كذّب هذا الحديث وقد أجاب عنه ورد عليه[4]، ثم قال ابن قتيبة في آخر الرد عليه : (وله أقاويل في أحاديث يدعي عليها أنها مناقضة للكتاب وأحاديث يستبشعها من جهة حجة العقل وذكر أن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار وأحاديث ينقض بعضها بعضاً)[5].

ونحن نقول للمعتزلة : العقول البشرية متفاوتة فيما بينها فما يعرفه عقل قد ينكره آخر وما يتصوره عقل قد يجهله آخر إلى غير تلك

---

(١) الاعتصام /١ : ٣٠٩/ وقد أطال في عرض هذا الموضوع.
(٢) وسيأتي نماذج من كلامهم قريباً ص ٦٨.
(٣) تاريخ بغداد / ١٢:١٧٢/ وذكر عبد الله بن أحمد نحوه في / السنة/ ١٣٥/ / وراجع / الملل/ ١ : ٥٧-٥٨/.
(٤) تأويل مختلف الحديث /٢٦-٢٩/.
(٥) تأويل مختلف الحديث /٤٢-٤٣/.

الاختلافات ... فأي عقل منها إذن هو الذي يؤخذ حكمة ويجعل ميزاناً لمعرفة الحقائق الشرعية؟...

ثم ما فائدة الوحي المنزل ما دام أن العقل قادر بنفسه على معرفة ما يجب لله وما ينفى عنه؟ بل يعتبر الوحي ـ على مذهبهم ذلك ـ مرهقا للعقل ومتعباً له لأنه سيشغل برد بعضه أو بصرفه عن ظاهره لمخالفته له ـ حسب زعمهم ـ.

خامساً : تعريب كتب الفلسفة :

عربت كتب الفلسفة اليونانية وغيرها من كتب العقائد الوثنية في عهد المأمون فاطلع عليها طائفة من المسلمين وانخدعوا بمقرراتها وبمناهجها في البحث فاتخذوا منها ميزاناً للحقائق الشرعية وما بلغهم من نصوص الكتاب والسنة أولوه ليوافق تلك المقررات الفلسفية مما نتج عنه بلاء كبير وإنحراف خطير.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ثم إنه لما عربت الكتب اليونانية في حدود المأة الثانية وقبل ذلك وبعد ذلك وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الالهية ما ضل به كثير منهم ... وصار الناس فيها اشتاتاً: قوم يقبلونها وقوم يجلون ما فيها وقوم يعرضونها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق ذلك دونما خالفه وقوم يعرضونها على ماجاءت به الرسل من الكتاب والحكمة. وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب مضموماً إلى ماحصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة»[1].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية/ ١ : ٣٢٤.

وقد تقدم قول الشهرستاني عن المعتزلة ومطالعة شيوخها لكتب الفلاسفة ولهذا فإن المعتزلة قد خلطت مناهجها بمناهج الفلاسفة.

وقال الشهرستاني كذلك: (وكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة في أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدره ـ وقدرته ذاته وأبدع بدعاً في الكلام)...

وقال كذلك: (ثم إن إبراهيم بن سيار النظام في أيام المعتصم كان قد غلا في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض وعن أصحابه بمسائل نذكرها)...وذكر آخرين على طريقتهم[1].

وبهذا الإيجاز يتبين لنا مدى تأثر شيوخ المعتزلةبتلك الفلسفة الوثنية والموافقة لأصحابها.

هذه أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع في المجتمع المسلم.

(١) الملل / ١ : ٢٩-٣٠.

المبحث الثالث

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة

بعد أن عرضنا (الخط التاريخي لظهور البدع)، «والأسباب التي كانت وراءها» نذكر موقف الأمة الإسلامية منها وكيفية مواجهتهم لأصحابها بإيجاز .

فأما الفترة الأولى (٠٠٠ - ٣٧هـ) فقد كانت فترة سليمة من تلك البدع، ولهذا فإنها تعتبر فترة ذهبية لوحدة الأمة الإسلامية واجتماعها على عقيدة واحدة لا يخالفها مخالف ولا يخرج عنها مفارق.

فهي النموذج الصحيح الذي يتطلع إليه المسلم في كل فترة من الفترات الزمنية بعده كما أنه هو القاعدة الأساسية التي يعتمد عليه (أهل السنة والجماعة) في فهم الإسلام ومعرفته. فما عرفه ذلك الجيل وبينوه أخذ به أهل السنة وأظهروه وما سكتوا عنه ولم يتكلموا فيه أعرضوا عنه وتركوه فهم خيرة البشر - بعد أنبياء الله ورسله - وأعرف بدين الله ومراده من خلقه، اختارهم الله لصحبة رسول الله ﷺ ولنصرة دينه وإعلاء كلمته وتبليغها إلى خلقه وذلك أعظم شرف وأكبر تزكية لهم من خالقهم.

فمن لم يقتد بهم ويسلك سبيلهم فإنه على شفا جرف هار يوشك أن ينهار به في نار جهنم.

أما الفترة الثانية : (٣٧ - ١٠٠هـ) فإنها أُولى الفترات التي ظهرت فيها البدع وقد ظهرت فيها :

بدعة الخوارج.

وبدعة التشيع.

وبدعة القدر.

وبدعة الإرجاء.

فأما الخوارج فقد حملت السيف لنصرة مذهبهم فناظرهم علي رضي الله عنه وبعث ابن عباس كذلك ليناظرهم فرجع أكثرهم عن ضلالتهم وقاتل الآخرين حتى قضى عليهم[1].

وأما الشيعة فعاقب الإمام علي رضي الله عنه بعضهم بالحرق والنفي وهم الغالية[2] وعاقب الذين يفضلونه على الشيخين بالجلد فقد ورد عنه أنه كان يقول:

(لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري)[3].

وأما القدرية: فقد أعلن الصحابة براءتهم منهم وأخبروا أنهم مجوس هذه الأمة فلا يعاملون معاملة المسلمين[4].

وأما المرجئة: فقد تصدى علماء السلف بالرد عليهم وبيان فساد قولهم وذكروا النصوص الشرعية التي تدل على أن الإيمان يشمل العمل - كما سيورده المؤلف في مبحث الإيمان آخر الكتاب -.

---

(١) البداية /٧: ٢٧٩-٢٨٢/.

(٢) الفرق بين الفرق / ٢١/.

(٣) النبوات /١٣٢/ والفتاوى/ ٣: ٢٧٩/ وفتح الباري/ ٧: ٣٣/. وراجع صحيح البخاري / ح: ٣٦٧١/.

(٤) كما سيذكره المؤلف عنهم في أواخر مباحث القدر.

وأما الفترة الثالثة من (١٠٠ - ١٥٠هـ) فقد كانت أسوأ الفترات التي ظهرت فيها البدع إذ ظهر فيها الكلام في ذات الله عز وجل وصفاته ما بين معطل ومشبه،

فالجعد بن درهم قتله خالد بن عبد الله القسري.

والجهم بن صفوان قتله سلم بن أحوز.

وأما واصل: الذي ابتدع المنزلة بين المنزلتين فقد طرده الحسن من مجلسه.

وأما مقاتل بن سليمان: المتهم بالتشبيه فقد قال فيه أبو حنيفة - كما تقدم - (أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل ومقاتل مشبه)[1].

وقد تصدى خلفاء الأمة لهؤلاء المبتدعة فطاردوهم وتتبعوهم.

فعمر بن عبد العزيز استدعى «غيلان» القدري وناظره حتى أعلن توبته ووعد بعدم العودة إلى الخوض في القدر.

ولكنه رجع إليه بعد موت عمر بن عبد العزيز فأُتي به هشام بن عبد الملك وعقد له مجلس مناظرة ثم قتله.

وعقد هشام كذلك مجلساً آخر بين الأوزاعي وبين رجل قدري آخر ثم قتله.

والمهدي استدعى جماعة من القدرية من أهل المدينة وضربهم بالسياط - وستأتي هذه الروايات في ثنايا الكتاب - .

وهكذا كانت الخلفاء تواجه الضالين المبتدعين.

---

(١) تاريخ بغداد / ١٣: ١٦٤/. وقد تقدم قريباً.

والفترة الرابعة : (١٥٠ - ٢٣٤هـ) :

كانت فيها مرحلتان :

الأولى منها : كانت مرحلة مناظرات ومجادلات كلامية بين الطوائف.

وأما المرحلة الثانية : والتي تولى فيها المأمون الخلافة فقد كانت مرحلة صراع بين أهل السنة والمعتزلة في قضية خلق القرآن حيث نفاها أهل السنة وأثبتها المعتزلة.

وقد استطاعت المعتزلة أن تحمل المأمون على مذهبها وتدفعه لتقرير هذا المذهب على الأمة فحدثت الفتنة بين المعتزلة المسلحة وبين أهل السنة العزل من السلاح، فثبت أهل السنة على عقيدتهم ولم يوافقوا المعتزلة فيما يريدون فحبس بعضهم وقتل آخرون واستمرت الفتنة من سنة (٢١٨هـ) إلى (٢٣٤هـ) ثم رفعت في عهد المتوكل وخرجت عقيدة أهل السنة منصورة وانكسر الاعتزال فلم تقم له بعد قائمة.

الفترة الخامسة : (٢٣٢-٣٢٤هـ) :

هي التي ظهر فيها ابن كُلاب وابن كرّام كما تقدم .

فأما ابن كُلاب فقد حذر منه أحمد بن حنبل رحمه الله وحذر من موافقيه .

فقد ذكر الحاكم عن ابن خزيمة (أنه كان يعيب مذهب الكلابية ويذكر عن أحمد بن حنبل أنه كان أشد الناس على عبد الله بن سعيد

وأصحابه) [1] .

وقال ابن تيمية : (وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه) [2].

وأما ابن كرَّام فقد سجن ونفي من بلده .

قال الذهبي : (وقد سجن ابن كرّام ونفي) [3] .

وقال ابن حجر : (وقد سجن بنيسابور لأجل بدعته ثمانية أعوام ثم أخرج وسار إلى بيت المقدس ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ) [4] .

وذكر أن الذي حبسه هو محمد بن عبد الله بن طاهر .

هذا موجز عن موقف الأمة من أصحاب البدع خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام .

---

(١) لسان الميزان / ٣ / ٢٩٠ / .
(٢) درء تعارض العقل والنقل / ٢ / ٦ / .
(٣) سير أعلام النبلاء / ١١ / ٥٢٣ / .
(٤) لسان الميزان / ٥ / ٣٥٤ / .

المبحث الرابع

مرحلة تدوين المذهب السلفي

كانت فتنة القول بخلق القرآن سبباً ليقظة المذهب السلفي والشعور بالخطر أمام المذاهب الضالة وخاصة المعتزلة التي بلغت درجة كبيرة من القوة والتمكن. فهب علماء السنة لنصرة الحق ورفع رايته وتحذير الأمة من تلك المذاهب الضالة. فنشط العلماء وارتفعت أعلام العقيدة الصحيحة ترفرف في كل مكان وتطارد فلول الاعتزال وتحذر الأمة منه، فانجحر في حجره وانقمع أمره فلم تقم له بعد قائمة ولم ترفع له راية تذكر إلا في النادر القليل.

وبدأت مرحلة جديدة عُني فيها علماء السنة بالتدوين والتأليف لبيان العقيدة الصحيحة والرد على المنحرفين عنها.

وقد اتخذت هذه المؤلفات منهجين مختلفين :

الأول : منهج الرد .

أي عرض شبه الخصوم وبيان الحق في ذلك مدعماً بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وذلك يتمثل في مؤلفات عدة، أهمها :

١ ـ كتاب الإيمان ـ لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ـ (٢٢٤هـ).

٢ ـ الرد على الزنادقه والجهمية ـ لأحمد بن حنبل ـ (٢٤١هـ).

٣ ـ الرد على الجهمية ـ لعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي ـ (٢٢٩هـ).

٤ ـ الرد على الجهمية ـ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ).

٥ ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ـ لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ (٢٧٦هـ).

٦ ـ الرد على الجهمية ـ لعثمان بن سعيد الدارمي ـ(٢٨٠هـ).

٧ ـ الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي ـ كذلك ـ .

٨ ـ الرد على الجهمية ـ لعبد الرحمن بن أبي حاتم ـ (٣٢٧هـ)[1].

وجميع هذه الكتب مطبوع ما عدا الثالث والأخير.

الثاني : منهج العرض .

وهو عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ويمثل هذا المنهج المؤلفات الآتية :

١ ـ السنة ـ رسالة لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ـ ط .

٢ ـ السنة[2] لأبي بكر بن الأثرم ـ (٢٧٢هـ).

٣ ـ السنة ـ لعبد الله بن أحمد بن حنبل ـ (٢٩٠هـ) ـ ط.

٤ ـ السنة للمروزي ـ محمد بن نصر ـ (٢٩٤هـ) ـ ط .

٥ ـ السنة[3] ـ للخلال : أحمد بن محمد بن هارون (٣١١هـ).

---

(١) ذكره أبو يعلى في/طبقات الحنابلة/ ٢ : ٥٥/.

(٢) تاريخ بغداد / ٥ : ١١٠/.

(٣) طبقات الحنابلة / ٢ : ١٢/.

٦ ـ التوحيد ـ لابن خزيمة (٣١١هـ) ـ ط.

٧ ـ الشريعة لأبي بكر الآجري (٣٦٠هـ) ـ ط.

٨ ـ الإبانة [(١)] ـ لعبيد الله بن محمد بن بطة. (٣٨٧هـ) ـ خ ـ.

٩ ـ التوحيد[(٢)] ـ لمحمد بن إسحاق بن منده. (٣٩٥هـ) ـ خ ـ.

١٠ ـ شرح[(٣)] السنة ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ). ط

١١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم: هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤١٨هـ) موضوع هذه الدراسة والتحقيق.

هذه بعض مؤلفات أهل السنة في العقيدة إلى جانب عشرات المؤلفات من نوعها والتي فقد بعضها أولايزال في أعماق المكتبات لم يطبع إلى اليوم.

وهذه الكتب تركز على قضية هامة هي: «العودة بالأمة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح في فهمهما. واجتناب ما جد من الآراء المحدثة والمذاهب المنكرة».

---

(١) ـ مخطوطة ـ يقوم بعض طلبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى بتحقيقه وهو يجمع بين المنهجين العرض والرد. وقد طبع منه مجلدان.

(٢) ـ مخطوط ـ حققه أحد الطلبة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة. وقد طبع بعضه.

(٣) هكذا سماه ابن فرحون في/ الديباج المذهب/ ٢: ١٨/ ونقل منه بعض النصوص وأما بروكلمان فسماه: أصول السنة ـ في/ تاريخ الأدب العربي/ ٤: ١٦/. وقد طبع.

المبحث الخامس

منهج أهل السنة في تقرير العقيدة والرد على البدع

للسلف منهج مميز في تقرير الأمور الاعتقادية والرد على البدع وذلك يتبين من خلال كتاباتهم والآثار الواردة عنهم وهو :

١ ـ تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة وعدم رد شيء منهما أو تأويله.

٢ ـ الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية عامة وفي قضايا العقيدة خاصة.

٣ ـ عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.

٤ ـ عدم مجادلة أهل البدع أو مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم.

٥ ـ الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم.

هذا هو المنهج السلفي في تقرير العقيدة الإسلامية والرد على البدع.

فأما الاستشهاد بالقرآن الكريم فهو أمر متفق عليه بين المنتسبين إلى الإسلام إلا أن أصحاب الاتجاه العقلي يؤولون كثيراً من آيات الصفات على غير ظاهرها. وأما أهل السنة فيحملونها على ظاهرها ولا يؤولون شيئا منها.

يقول شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار : (وإذا ورد في القرآن

آيات تقتضي بظاهرها التشبيه وجب تأويلها لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ودليل العقل بعيد عن الاحتمال)[1].

هذا منهج المعتزلة في آيات الصفات وأما أهل السنة فيحملونها على ظاهرها ولا يؤولون شيئاً منها.

وأما الاستشهاد بالسنة فقد وقع الخلاف فيه بين «أهل السنة» و«أصحاب الاتجاه العقلي».

فأما أهل السنة فيستشهدون بما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة ولا يردون شيئا منها أو يؤولونه.

ونحن نتبين ذلك المنهج من خلال بعض النصوص السلفية الواردة عنهم.

فمن ذلك - مثلاً - قول الإمام أحمد بن حنبل في أحاديث الصفات: (نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئاً منها إذا كانت بأسانيد صحاح)[2].

وقال في أحاديث الرؤية: (أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر وكلما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقره)[3].

وقال ابن عيينة في أحاديث الرؤية: (حق نرويها على ما سمعناها ممن نثق به ونرضى به)[4].

---

(١) المحيط بالتكليف / ٢٠٠/.
(٢) ذكره اللالكائي / برقم: ٧٧٧/.
(٣) سيأتي / برقم: ٨٨٩/.
(٤) ذكرها المؤلف رقم/ ٨٧٧/ ورواه عبد الله بن أحمد في السنة/ ٤٠/.

وسئل محمد بن الحسن عن بعض أحاديث الصفات فقال : (إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات).

وقال أبو عبيد في بعض أحاديث الصفات : (هذه الأحاديث عندنا حق يرويها الثقات بعضهم عن بعض).

هذا هو المنهج السلفي : قبول الأحاديث الصحيحة دون الضعيفة أو الموضوعة.

وأما أصحاب الاتجاه العقلي فإنهم يخالفون هذا المنهج السلفي - في الاستشهاد بالسنة النبوية - ويرفضون السنة ولو كانت صحيحة ما لم تكن متواترة ويأخذون بما تقرره عقولهم.

وسنورد هنا نصاً لشيخ المعتزلة ومقرر قواعدها القاضي عبد الجبار يبين لنا ذلك المنهج المنحرف :

يقول القاضي - وهو يتحدث عن الأحاديث النبوية الشريفة وأقسامها من حيث القبول والرد - (...وأما ما لا يعلم كونه صدقا ولا كذبا فهو كأخبار الآحاد وما هذا سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه فأما ما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا. إلا إذا كان موافقا لحجج العقول واعتقد موجبه لا لمكانه بل للحجة العقلية فإن لم يكن موافقا لها فإن الواجب أن يرد. وان يحكم أن النبي لم يقله وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن غيره هذا إذا لم يحتمل التأويل إلا بتعسف فأما إذا احتمله فالواجب أن يتأول...)[1].

---

(١) شرح الأصول الخمسة /٧٦٨/٧٦٩/.

هذا هو مذهب المعتزلة ولذلك فقد قاوم السلف هذا الاتجاه المنحرف وأكدوا على ضرورة الأخذ بالسنة الصحيحة وتقديمها على المقررات العقلية.

وأما الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله عنهم وتقديمها على أقوال من بعدهم فإن ذلك لما فضلوا به من مشاهدة التنزيل ومعاصرة الوحي الإلهي وصفاء أذهانهم مما جد بعد من البدع الضالة إلى جانب ما يتمتعون به من الفهم اللغوي للنصوص الشرعية.

وأما عدم الخوض في المسائل الاعتقادية بالعقل فإن ذلك لإدراكهم وتيقنهم بأن العقل البشري عاجز عن معرفة االأمور الغيبية بنفسه استقلالاً وأن دور العقل هو الفهم والاتباع والاعتقاد لما جاء به الوحي وليس الرد والاعتراض لأن الوحي جاء ليكون ميزاناً بين هذه العقول المختلفة ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾.

وأخيراً فإن علماء السلف يكرهون مناظرة أهل البدع والجلوس معهم بل ونهوا عن نقل شبهاتهم أو عرضها على المسلمين وذلك لخوفهم من ضعف الناقل لها وعجزه عن إبطالها وتزييفها فيفتن بها بعض من سمعها أو قرأها وفي هذا صيانة لقلوب المسلمين وحماية لعقولهم وأفكارهم زيادة على كون ذلك فيه إهانة للمبتدعة ومحاصرة لآرائهم وعدم جعل الكتب السلفية جسوراً تعبر عليها تلك الآراء المنحرفة.

ومن الاثار الواردة عن السلف التي تبين منهجهم في ذلك زيادة على ما في هذا الكتاب المحقق ما يلي:

روى البغوي عن سفيان الثوري أنه قال: (من سمع بدعة فلا

يحكها لجلسائه لا يلقيها في قلوبهم)[1].

وروى ابن بطة عن أيوب أنه قال : (لست ترد عليهم بشيء أشد من السكوت)[2].

وروي عن عبد الله بن السري : (ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ولكن السنة عندنا أن لا نكلم أحداً منهم) [3].

وروي عن حنبل بن إسحاق بن حنبل أنه قال : (كتب رجل إلى أبي عبد الله رحمه الله كتاباً يستأذن فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم.

فكتب إليه أبو عبد الله كتابا فيه : الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم...)[4].

ولهذا فإن المؤلفين من أهل السنة ينهجون في مؤلفاتهم منهج العرض لعقيدة السلف مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية دون عرض للشبهة أو أدلتها ونادراً ما يخالفون هذا المنهج.

وأما المؤلفات التي تتسم بمنهج الرد لآراء الخصوم فإنها تعرض

---

(١) شرح السنة للبغوي / ١ : ٢٢٧/.

(٢) الابانة ؟ ٢ : ٣٦٥-٣٦٦/.

(٣) الابانة / ٢/٣٦٥-٣٦٦/.

(٤) الابانة / ١ : ٤٤ ـ أ ـ ب / وراجع كتاب الشريعة (٥٤-٧٥).

الشبهة موجزة وبصورة مختصرة .

هذا هو منهج السلف في تقرير العقائد الدينية والمطلع على مصنفاتهم في العقيدة يتبين له ذلك.

وقد سار على هذا المنهج صاحب هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه وهو : الحافظ أبو القاسم اللالكائي ـ رحمه الله ـ فكان كتابه هذا صورة صادقة لذلك المنهج.

فقد عرض القضايا العقائدية دون ذكر للآراء المخالفة أو أدلتها المعارضة لعقيدة السلف، وقد اعتمد في تقرير ذلك على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ـ وسنفرد لهذا الكتاب ومنهجه فصلاً مستقلاً ـ إن شاء الله تعالى ـ .

ورغم وضوح المنهج السلفي الذي يلتزم بالصحة في الأحاديث التي يستشهد بها فإن بعض المؤلفين من علماء المذهب السلفي قد قصروا في هذا الالتزام والسير على ذلك المنهج فيما يوردونه من الأحاديث للاستشهاد بها في مؤلفاتهم مما كان له أثر سيئ على المذهب وجرأ أتباع المذهب العقلي ـ الممثل في المعتزلة ومن تابعهم فيه ـ على التهكم بما يروى في تلك الكتب من الآثار الموضوعة والمنكرة أو الضعيفة الاسناد أو نحو ذلك من الاسرائيليات[1] .

ونذكر هنا بعض الأمثلة من تلك الكتب :

١ ـ كتاب رد الدارمي على المريسي (٢٨٢هـ)

* روي عن المريسي تأويله لحديث : (لما قضى الله خلقه

(١) راجع : مقدمة كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

استلقى .. - الآتي عند ابن أبي عاصم -) ثم أخذ يرد على المريسي في تأويله[1] مع أنه حديث موضوع وكان الأولى به أن يبين عدم صحته.

* وقال : (ومن الأحاديث أحاديث جاءت عن النبي ﷺ قالها العلماء ورووها ولم يفسروها ومتى فسرها أحد برأيه اتهموه : فقد كتب إليّ علي بن خشرم أن وكيعاً سئل عن حديث عبد الله بن عمر : (والجنة مطوية معلقة بقرون الشمس) فقال وكيع : هذا حديث مشهور قد روي فهو يرويها)[2].

وهذا الأثر مجهول السند ولا يوجد في شيء من دواوين السنة فكيف يزعم أنه مشهور؟

٢ - السنة - لابن أبي عاصم - (٢٨٧هـ) :

* روى بسنده إلى قتادة : أنه زار أبا سعيد الخدري فوجده مستلقيا رافعاً إحدى رجليه على الأخرى ...فرفع قتادة يده فقرصه قرصة شديدة قال أبو سعيد : أوجعتني! قال : ذلك أردت : ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول : (لما قضى الله خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال: لا ينبغي أن يفعل مثل هذا؟ قال أبوسعيد: نعم)[3].

وعلق عليه الشيخ الألباني بقوله : (أسناده ضعيف والمتن منكر كأنه من وضع اليهود).

---

(١) ص /١٨٣/ من الكتاب المذكور أعلاه.
(٢) ص /٨٨/.
(٣) / ح : ٥٦٨/.

* وروى بسنده كذلك قراءة «سورة طه»[1] الآتي عند ابن خزيمة وهو حديث موضوع .

٣ ـ كتاب السنة ـ لعبد الله بن أحمد بن حنبل ـ ٢٩٠هـ) :

* قال حدثني أبي حدثنا يزيد بن هارن أنا الجريري عن أبي عطاف قال : (كتب الله التوراة لموسى بيده وهو مسند ظهره إلى الصخرة في الواح من در يسمع صريف القلم ليس بينه وبينه إلا الحجاب)[2].

في سنده أبو العطاف وهو مجهول قال ابن المديني : (ما أعلم أحداً روى عنه غير الجريري)[3] فهذا أثر عن شخص مجهول سنداً ومتناً ولا ينبغي رواية مثله إلا لرده وإبطاله.

* وقال : حدثني أبي، حدثنا معاذ بن هشام بمكة حدثني أبي عن قتادة عن كثير بن أبي كثير عن أبي عياض عن عبد الله بن عمرو قال : (إن العرش لمطوق بحيه وإن الوحي لينزل في السلاسل)[4].

لو لم يكن في هذا الأثر إلا عنعنة قتادة ـ وهو معروف بالتدليس ـ لكفى في تضعيفه. كيف وفيه كثير «ابن أبي كثير البصري مولى عبد الرحمن بن سمرة» مختلف فيه.

* وقال : حدثني أبي، حدثنا أبو أسامة أنا هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : (خلق الله الملائكة من نور

---

(١) /ح: ٦٠٧/.

(٢) السنة/١٤٥/.

(٣) الميزان / ٤ : ٥٥٣/.

(٤) السنة / ١٥٠/.

الذراعين والصدر)[1].

فيه هشام بن عروة من رجال الجماعة إلا أنه نقم عليه العلماء كثرة روايته عن أبيه.

قال يعقوب بن شيبة: (ثقة ثبتٍ لم ينكر عليه شيء إلا بعد ما صار إلى العراق فإنه انبسط في الرواية عن أبيه فأنكر عليه أهل بلده. والذي نرى أن هشاما تسهّل لأهل العراق أنه كان لا يحدث عن أبيه إلا بما سمعه منه فكان تسهله أنه أرسل عن أبيه مما كان يسمعه من غير أبيه عن أبيه).

وهشام هنا لم يصرح بالسماع وفي ذلك تضعيف لهذه الرواية.

وأما متنها فمنكر لم يرد من غير هذه الطريق لا موقوفا ولا مرفوعا.

٤ ـ كتاب التوحيد ـ لابن خزيمة (٣١١هـ):

وهذا الكتاب قد التزم مولفه الصحة فيما ينقل أو يروي فيه ومع ذلك فقد أورد فيه بعض الآثار المخالفة لشرطه والتي بعضها موضوع وبعضها منكر، وهذا بعضها:

* روى بسنده حديث أبي هريرة أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى قرأ طه و يس قبل أن يخلق آدم بألفي عام)[2]....

وهذا حديث موضوع ـ كما سيأتي في الكتاب الذي نقوم بتحقيقه / رقم: ٣٦٨/ بمشيئة الله تعالى.

---

(١) السنة/١٥١، ١٦٨/.

(٢) التوحيد/ ١٠٩/.

* وقال : (حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا هشام ـ يعني ابن عبد الملك ـ أخبرنا الوليد / وثنا محمد بن يحيى قال : ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد / وروى الليث بن سعيد قال حدثني زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال : «إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل ــ إلى أن قال : ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول : قيومي بعزتي)[1]..

هذا الحديث في سنده : «زياد بن محمد» قال البخاري والنسائي وأبو حاتم وابن حبان : (منكر الحديث).

وزاد ابن حبان : (جدا يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك)[2].

وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ولا يحتج به[3] ومتن الحديث : منكر.

٥ ـ الايمان ـ لابن مندة (٣٨٧هـ) :

* روى بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال ـ في حديث الرؤية ـ إن الله عز وجل : (يتجلى يضحك) زاد : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : (حتى تبدو لهواته وأضراسه)[4].

واكتفى ابن مندة بقوله : (ولم يذكر من تقدم هذا) ـ أي من

---

(١) التوحيد / ٨٩/.

(٢) التهذيب / ٣ : ٣٩٢-٣٩٣/.

(٣) التهذيب /٨ : ٣٢٢-٣٢٤/.

(٤) ص / ٧٧-٧٨ ـ ب / مخطوطة/ ورواه أبو عوانه في مسنده / ١ : ٣٩/ .

الرواة لحديث الرؤية ـ . وكان ينبغي التنبيه إلى عدم صحته.

٦ ـ الإبانة ـ لإبن بطة (٣٩٥هـ):

روى بسنده إلى ابن عمر أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من قال : القرآن مخلوق فقد كفر بالله عز وجل)[١].

* وروى بسنده قصة فيها : (قيل يولد في المشرق جارية وبالمغرب غلام يجتمعان على الفجور فكانت «عنقاء» تسمع فأنكرت ذلك فقال لها : خذي الجارية واحفظيها عندك ففعلت ـ ورغم تحرزها وصل الغلام إلى الجارية)[٢].

هذه نبذة يسيرة من تلك الآثار المنكرة التي اشتملت عليها بعض كتب عقائد أهل السنة والجماعة مما كان له أثره السيء على مذهب أهل السنة.

وأما الآثار الضعيفة فهي كثيرة ولا يكاد يسلم منها شيء من كتب العقائد.

ولا شك أن هذا العمل من أولئك المؤلفين خطأ فردي يخالف المنهج السلفي.

وهذا الخطأ الواقع في تلك المؤلفات يجعل القيام بتحقيقها وبيان صحيحها من سقيمها أمراً واجباً على الباحثين إذ لا نحتاج لاثبات عقائدنا إلى ما لم تصح نسبته إلى نبينا ﷺ ولا إلى مخلفات العقل الاسرائيلي.

---

(١) / ١ : ٥٧٤ـ٥٧٥/.

(٢) /١ : ٣٨٧ـ٣٩٢/. بتصرف.

وقد نبه علماء أهل السنة المتأخرون على ضرورة بيان الصحيح من السقيم من تلك الآثار الواردة في المؤلفات القديمة.

ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله : (فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فإن السنة : هي الحق دون الباطل وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة)[1].

ولما كان ذلك الصنيع يعتبر «خطأ فرديا» يخالف شرط علماء المذهب السلفي في بيان العقيدة فقد وجب التنبيه على ذلك الخطأ والدلالة عليه لئلا يتوهم متوهم في دين الله ما ليس منه أو يظن أن كل ما ورد في المصنفات السلفية صحيح يجب اعتقاده والإيمان به[2].

وكتاب اللالكائي : «شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» من أهم الكتب السلفية منهجاً ومضموناً ولكنه كذلك لم يسلم من الخطأ الذي وقعت فيه تلك الكتب الآنفة الذكر.

ولذلك فإن القيام بتحقيقه وبيان صحيح الآثار الواردة فيه من سقيمها أمر ضروري -كغيره من تلك المؤلفات- لصيانة العقيدة وحفظها.

وهذا ما نستعين الله عز وجل على القيام به في هذا الكتاب.

---

(١) الوصية الكبرى / ٢٨٣/ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى الجزء الأول، وكذلك الفتاوى / ٣ : ٣٨٠/. وراجع مقدمة صحيح مسلم فقد تحدث فيها عن وجوب بيان الصحيح من الضعيف عند التأليف وعدم الاستشهاد إلا بالصحيح .

(٢) تنبيه : إن بيان هذه الحقيقة في المذهب السلفي لا يعني أنه ليس بها أحاديث صحيحة بل أن الأصل فيها هو ذلك وأما غير الصحيح فهو المخالف للأصل وإنما أردت التنبيه على ذلك المخالف للأصل.

وأما كتب العقائد غير السلفية فلا يكاد يوجد فيها حديث أصلاً إلا على سبيل الرد أو التأويل وإن وجد فقلّ أن يكون صحيحاً.

الفهرس

هذا الكتاب

إن من أخطر ما يهدد كياننا كأمَةٍ إسلامية سكوتُنا عن مُحدَثات الأمور من البِدَع والخرافات التي يحاول المغرِضونَ من أعدائنا، والمتأثرون بثقافة الغرب من أبناء الأمة، إدخالها في ثقافتنا، لإفساد المنهج الصحيح ولَيِّ المعاني، وتأويل النصوص بما يوافق أهواءهم، ويفسد علينا معتقداتنا، عن طريق تَغشية المفاهيم، وزرْع الأفكار الغريبة عن ديننا الحنيف.

ولولا نعمةٌ من الله تعالى وفضل لَمَا كان لهذا المنهج أنَ يسلم من عبث العابثين، وإضلال أهل الزيغ والأهواء، فقيّض الله تعالى للأمة رجالاً فضلاءَ بيّنوا وجه الحق من الضلال، وأعْمَلوا الفِكْرَ في كشف مقاصد المبتدعين، ما حفظ المنهج من الدسائس، واستنقَذَه من عَمايةِ الجهالة.

إن هذا الكتاب، على قلة صفحاته، يوجز تاريخ ظهور البدع، وأسبابها، وموقف الأمة منها، ومنهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد والرد على البِدَع.

(الناشر)

SR 8 -00

840701936600